

بحث بعنوان

الاتجاه الوطني في التفسير¹

patriotism interpretation

زهران عمر زهران²

Zahran omar zahran

عودة عبد الله عودة³

Odeh Abdullah Odeh

1 . هذا البحث مستل من أطروحة دكتورة, (الاتجاه الوطني في التفسير: التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة أنموذجاً), جامعة النجاح الوطنية, قسم أصول الدين. الأطروحة لم تناقش.
2 . طالب دكتورة, جامعة النجاح الوطنية, باحث في الدراسات القرآنية, Abu.albraa.kh@gmail.com
3 . أستاذ مشارك, جامعة النجاح الوطنية, قسم أصول الدين.

الملخص

تناولت الدراسة الحديث عن الاتجاه الوطني في كتب التفسير القديمة والحديثة, لتبين هل كان هذا الاتجاه ظاهراً فيها, أم لا؟ خاصة كتب التفسير التي ظهرت خلال فترة الصراعات, سواء الصراعات القديمة كالصراع مع الصليبيين, أو الصراعات الحديثة كالصراع مع اليهود, أم أنّها كانت غائبة. والذي ظهر من خلال الاستقراء لجملة من كتب التفسير القديمة والحديثة, أنّ النزعة الوطنية كانت ظاهرة فيها, وأنّ المفسر يظهر حبه لوطنه, وتأثره بالواقع المحيط, وكان الحديث عن الوطن ظاهراً عند وقوفه مع الآيات التي لها علاقة بالوطن كالتّي تتحدث عن حبّ الأنبياء لأوطانهم, أو تحدثت عن الإخراج من الأرض, أو التي صرحت بذكر بعض البلاد كالمسجد الحرام, والمسجد الأقصى. ومن كتب التفسير القديمة التي ظهر الاتجاه الوطني المحرر الوجيز لابن عطية, وتفسير ابن كثير وغيرها, ومن كتب التفسير المعاصرة تفسير المنار لمحمد رشيد رضا, والتفسير الحديث لدروزة, وغيرها. وكان للاتجاه الوطني في التفسير دور فاعل في بيان مكانة الوطن, والحثّ على حبه, والتمسك به, والدعوة إلى الدفاع عنه, وعن أهله, والسعي الدائم لخدمته والنهوض به في شتى المجالات الدينية, والسياسية, والاجتماعية, والاقتصادية, والأخلاقية, وغيرها. وبكل الوسائل المتاحة.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه, الوطني, التفسير, ابن باديس

This study has referred to the discussion about nationalism in the modern and old interpretation books so we can conclude that did nationalism was apparent in the books or not? specially in the interpretation books who were published in times of conflicts, whether it was old conflicts like the struggle against the crusaders or new conflicts like struggle against colonial judaism, or it wasn't apparent. and what was obvious from delving in interpretation books old & new, that the national fervor was clear in the books and the interpreter has expressed his love for his homeland and has shown the effect of the surroundings on him, and speech about the homeland was obvious when he talked about the quranic verses which spoke about the homeland such as the verses who talked about how the prophets loved their homelands in the verses who spoke of expelling the prophets out of their homelands or conquering the land or the verses who mentioned some specific lands like holy mecca and al-aqsa mosque or egypt etc .and some old interpretation books where nationalism was very obvious the book of ibn attyah the summarized interpretation of the freed and the great interpretation of the quran by ibn katheer etc, as for the modern interpretation books like almanar interpretation by mohammed rasheed rida, and the modern interpretation by droza etc .Nationalism has played an effective role in interpretation

books to showcase the importance of the homeland and the importance of defending it and its people and to perpetually seek to serve it and to lift it up in all sectors religiously, economically, politically, ethically, intellectually etc, and all possible ways.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ولبى نداء ربه حتى أجاب مناديه، وبعد:

فإنَّ حبَّ الوطن من الأمور الفطرية التي فطر الله تعالى النَّاسَ عليها، وإنَّ هذه المحبة لترقى في القلب عندما يكون الوطن مكلوماً، وإنَّ الناظر المتأمل ليرى أنَّ جملة من النصوص الشرعية تدل على محبة الإنسان لوطنه، منها ما جاء في صحيح البخاري عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّبْنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ"⁴. ومنها ما قاله النَّبي صلى الله عليه وسلم، وهو يخرج من مكة مهاجراً إلى المدينة: "مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ"⁵.

إذن فارتباط الإنسان بوطنه وبلده، مسألة متأصلة في القلب، فهو مستقر الحياة الذي لا يترك إلا لضرورة، لذلك فإنَّ المسلم لا بدَّ أن يكون وفياً لوطنه محباً له ينصره في كل ميدان، فعلى أرضه عاش، ومن خيرات طعم، وفي ربوعه ربي.

وفي هذه الدراسة ننظر في جملة من كتب التفسير على وجه العموم قديمها وحديثها، لنرى مدى حضور الوطن فيها، ومدى الارتباط بين قلم المفسر ووطنه، خاصة كتب التفسير التي سطرت في ظل الصراعات الداخلية أو الخارجية، وذلك لتحديد الوسائل التي تثبت وجود الاتجاه الوطني في التفسير، وبيان القيم المترتبة عليه التي من أبرزها تصحيح مفهوم الوطنية والقومية، بيان مراعاة المفسر لواقع وطنه، وغيرها.

⁴ . البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. طبعة: 3، سنة: 1407هـ. بيروت: دار ابن كثير. (ح: 6011). (كتاب الدعوات). (باب الدعاء برفع الوباء والوجع). (2343/5).

⁵ . ابن حبان، محمد بن أحمد البستي. صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. طبعة: 2، سنة: 1414هـ. بيروت: مؤسسة الرسالة. (ح: 3709). (كتاب الحج). (باب فضل مكة). (23/9). قال شعيب: "حديث صحيح".

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية هذه الدراسة في النقاط الآتية:

- أنّ هذه الدراسة تناولت جانباً لم يطرق من قبل, وهو الاتجاه الوطني في التفسير, وتعلقها بالوطن له أهمية كبرى لأنّ المرء لا ينفك عن العلاقة مع وطنه.
- أنّ هذه الدراسة تقدم حلولاً, وآليات ينتفع بها في خدمة الأوطان خصوصاً في الأوقات التي تتعرض فيها إلى الابتلاءات.
- تبين هذه الدراسة لنا مدى واقعية كتب التفسير, وهل كانت تراعي الظروف المحيط بها أم لا؟

مشكلة الدراسة:

يفترض من هذه الدراسة أنّ تجيب عن التساؤلات الآتية:

1. ما هي الأدلة القرآنية على حب الانسان لوطنه؟
2. ما هو مفهوم الاتجاه الوطني في التفسير؟
3. هل كان الاتجاه الوطني في التفسير ظاهراً في كتب التفسير القديمة, والحديثة؟
4. ما هي المعالم العامة التي تدل على وجود الاتجاه الوطني في التفسير؟
5. ما هي القيم المترتبة على وجود الاتجاه الوطني في التفسير؟

أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف الدراسة في النقاط الآتية:

- عرض الأدلة القرآنية التي تظهر حب الانسان لوطنه.
- بيان معنى الاتجاه الوطني في التفسير.
- اثبات وجود الاتجاه الوطني في التفسير في كتب التفسير القديمة والحديثة.
- عرض المعالم الرئيسة التي نستطيع من خلالها اثبات وجود الاتجاه الوطني في التفسير أم عدم وجوده.
- بيان القيم المترتبة على الاتجاه الوطني في التفسير.

منهج البحث: اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي, والمنهج التحليلي, والمنهج الاستنباطي, والمنهج الوصفي.

خطة الدراسة: تحقيقاً للأهداف المرجوة, وفي ضوء المنهجية السابقة, جعلت بحثي من مقدمة, وثلاثة مباحث, وخاتمة, وفهارس, على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل تعريفاً بالموضوع, وبيان أهميته, وأسباب اختياره, ومشكلته, وبيان الأهداف المرجوة, ومنهجية البحث, وخطته.

المبحث الأول: دلالة القرآن الكريم على الوطنية, وحكم الانتماء للوطن

المبحث الثاني: مفهوم الاتجاه الوطني في التفسير

المبحث الثالث: أساليب الاستدلال على الاتجاه الوطني في التفسير

المبحث الرابع: نماذج تدل على ظهور الاتجاه الوطني في التفسير

المبحث الخامس: القيم المترتبة على الاتجاه الوطني في التفسير

المبحث الأول

دلالة القرآن الكريم على الوطنية، وحكم الانتماء للوطن

المطلب الأول: مفهوم الوطن في القرآن الكريم

لم يرد لفظ الأوطان في القرآن الكريم صريحاً باستعمال أحد المصطلحات المشتقة من أصل كلمة (وطن) إلا في موضع واحد فقط، وهو قول الله تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ)⁶. يقول ابن عطية: "مواطن" "جمع موطن بكسر الطاء، والموطن: موضع الإقامة، أو الحلول"⁷. ويقول الشعراوي: "والموطن هو ما استوطنت فيه، وكل الناس مستوطنون في الأرض، وكل جماعة منا تُحيز مكاناً من الأرض ليكون وطناً لها، والوطن مكان محدد نعيش فيه من الوطن العام الذي هو الأرض؛ لأنّ الأرض موطن البشرية كلها، ولكن الناس موزعون عليها، وكل جماعة منهم تحيا في حيز تروح عليه، وتغدو إليه وتقيم فيه"⁸.

المطلب الثاني: دلالة القرآن الكريم على حب الأوطان

أولاً: حب الأنبياء لأوطانهم: دلت جملة من الآيات القرآنية على حبّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأوطانهم، ومن هذه الآيات القرآنية الآتي: قوله تعالى في الدلالة على حبّ النبي صلى الله عليه وسلم لوطنه -مكة-: "(إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)⁹. هذه الآية تحمل وعداً فيه تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم أنّه سيعود إلى وطنه مكة الذي أحبه، وأخرج منه رغماً عنه¹⁰، فقد جاء في السنة أنّه صلى الله عليه وسلم لما أخرج من مكة وقف على أطلالها قائلاً: "عَلِمْتُ أَنَّكَ حَيٌّ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا

⁶ . سورة التوبة: آية 25.

⁷ . ابن عطية، *الخرر الوجيز*. (21/3).

⁸ . الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي*. (1247).

⁹ . سورة القصص: آية 85.

¹⁰ . ينظر: الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: أحمد شاكر. طبعة: 1، سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة. (641/19).

خَرَجْتُ"¹¹، وفي رواية أخرى: "مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ! وَمَا أَحَبَّكَ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ"¹². ولما دخل المدينة قال صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا..."¹³. وقوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...) ¹⁴. هذه الآية ظاهرة الدلالة أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب أن تتحول القبلة نحو بلده مكة، يقول الطبري: "كان صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء، يحب أن يصرفه الله عز وجل إلى الكعبة، حتى صرفه الله إليها"¹⁵. وذكر الشعراوي: إنَّ هذا لا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن راضياً أن تكون القبلة نحو بيت المقدس، وإنما كان يتجه إلى بيت المقدس، وفي قلبه عاطفة حب الوطن تتجه نحو تحويل القبلة إلى الكعبة¹⁶. وقوله تعالى في الدلالة على حب إبراهيم عليه السلام لوطنه: (فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا)¹⁷. هذه الآية القرآنية تبين أنَّ الله تعالى عوض إبراهيم عليه الصلاة والسلام بخير عميم بعد مفارقتة لقومه، واعتزاله إياهم بسبب كفرهم وشركهم، يقول السعدي: "ولما كان مفارقة الإنسان لوطنه ومألفه وأهله وقومه، من أشق شيء على النفس، لأمر كثيرة معروفة، ومنها انفراده عمن يتعزز بهم ويتكثر، وكان من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، واعتزل إبراهيم قومه، قال الله في حقه: "فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا" من إسحاق ويعقوب "جَعَلْنَا نَبِيًّا" فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصهم الله بوحية، واختارهم لرسالته، واصطفاهم من العالمين"¹⁸. وقوله تعالى في الدلالة على حب موسى عليه السلام

11 . ابن حنبل، أحمد الشيباني. مسند الامام أحمد. القاهرة: مؤسسة قرطبة. (ح: 18739). (مسند عبد الله بن عدي بن الحمراء).

12 (305/4). قال الأرئوط: "حديث صحيح".

12 . الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (ح: 3926). (كتاب المناقب) (باب فضل مكة). (723/5). قال الألباني: "حديث صحيح".

13 . البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. طبعة: 3، سنة: 1407هـ. بيروت: دار ابن كثير. (ح: 1790). (فضائل المدينة). (باب كراهية النبي صلى الله عليه وسلم أن تعرى المدينة). (667/2).

14 . سورة البقرة: آية 144.

15 . الطبري، جامع البيان. (172/3).

16 . ينظر: الشعراوي، تفسير الشعراوي. (ص148).

17 . سورة مريم: آية 49.

18 . السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "تفسير السعدي". طبعة: 1، سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة. (494/1).

"فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا"¹⁹. قال ابن العربي المالكي: "لما قضى موسى الأجل طلب الرجوع إلى أهله، وحنَّ إلى وطنه، وفي الرجوع إلى الأوطان تقتحم الأغراض، وتزكُّب الأخطار، وتعلل الحواطر"²⁰.

ثانياً: الأدلة العامة على حب الأوطان: من الأدلة العامة التي تظهر مدى حب الإنسان، وارتباطه بوطنه الآتي: قرن الله تعالى الخروج من الديار بالقتل في قوله: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ...) ²¹. "فالقتل خروج الروح من الجسد بقوة قسرية غير الموت الطبيعي، والإخراج من الديار هو الترحيل القسري بقوة قسرية خارج الأرض التي يعيش فيها الإنسان، إذن فعملية القتل قرينة لعملية الإخراج من الديار، فساعة يُقتل الإنسان فهو يتألم، وساعة يخرج من وطنه فهو يتألم، وكلاهما شاقّ على الإنسان"²². وذكر السعدي: أنّ هذا من الأعمال الشاقة على النفوس، والذي لا يفعله إلا القليل النادر²³. قرن الله تعالى حب الدين بحب الديار، قال الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)²⁴. جاء في التفسير الوسيط: هذه الآية ترسم المنهج الذي يجب على المسلمين أن يسيروا عليه مع غيرهم، وهو أنّ من لم يقاتلنا من الكفار، ولم يعمل أو يساعد على إلحاق الأذى والضرر بنا، لإخراجنا من ديارنا، فلا يأس من بره وصلته²⁵. إنّ حب الوطن يجعل الإنسان يدافع عنه بكل قوته إذا هاجمه الأعداء، أو سعى أحدٌ لإخراجه منه، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ ائْبَعْثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا...) ²⁶. محاولة استشارة فرعون، وملاؤه لمشاعر قومهم ليخوفهم من موسى عليه السلام يبين شدة ارتباط الإنسان بوطنه، وتعلقه به، وعدم استغنائه عنه، وخوفه من الخروج منه، قال الله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ

19 . سورة القصص: آية 29.

20 . ابن العربي، محمد بن عبد الله. أحكام القرآن بيروت: دار الكتب العلمية. (259/6).

21 . سورة النساء: آية 66.

22 . الشعراوي، تفسير الشعراوي. (ص 347).

23 . السعدي، تفسير السعدي، (185/1).

24 . سورة الممتحنة: آية 8.

25 . ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط. (4171/1).

26 . سورة البقرة: آية 246.

أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ²⁷. ووجه الخطاب لسيدنا موسى عليه السلام: (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى)²⁸، جاء في كتاب اللباب في علوم الكتاب: "وتركيب هذه الشبهة عجيب، وذلك لأنه ألقى في مسامعهم ما يصيرون مبغضين له جداً بقوله: "أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا" لأنّ هذا مما يشق على الإنسان في النهاية"²⁹.

المطلب الثاني: حكم الانتماء للوطن

من المعلوم أنّ حب الانسان لبلده متأصل في الفطرة³⁰، ولكن المتأمل يجد أنّ المستعمرين سعوا جاهدين بعد هدم الخلافة الاسلامية³¹ إلى تقسيم الأمة الاسلامية إلى دويلات، وإشغالهم بالوطنية، والقومية، وبث روح الحقد، والكراهية بينها، فاستعملت كلمة الوطنية بدلاً من الاسلامية، ثم بدأ الولاء والبراء للوطن يعقد على هذا الأساس حتى وصل الأمر في نهايته بأن يوالي المرء، أو يعادي بحسب مصلحة وطنه الخاصة³². فلا يهمه إن وقع اعتداء على مسلم في خارج حدود بلده، بل أحياناً قد يفرح لذلك لاختلاف المصالح بين القطرين. حتى أنّ سيد قطب عدّ فكرة الوطن على هذا النحو صنماً يعبد من دون الله³³. فمن حمل فكرة الوطنية على هذا النحو، فوطنيته منكرة جاهلية لا تتفق مع روح الاسلام³⁴. أما الوطنية المبنية على الحب الفطري للوطن، والاعتقاد بفضله إن دلت النصوص على ذلك³⁵، والدفاع

²⁷. سورة الشعراء: آيات 34-35.

²⁸. سورة طه: آية 57.

²⁹. ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب. (282/13).

³⁰. فقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من الحب للوطن، وهو في طريق هجرته إلى المدينة المنورة فقال: "ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك". ابن حبان. صحيح ابن حبان. (ح: 3709). (كتاب الحج). (باب فضل مكة). (23/9). قال شعيب: "حديث صحيح".

³¹. قامت الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا في 1 نوفمبر 1922 بالإلغاء الرسمي للسلطنة العثمانية. (طقوش، محمد سهيل. تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة. (ص 550-552).

³². ينظر: أبو زيد، بكر. معجم المناهي اللفظية. (56/1-57).

³³. ينظر: قطب، في ظلال القرآن. (232/4).

³⁴. ينظر: ابن عثيمين، محمد صالح. القول المفيد على كتاب التوحيد. طبعة: 2، سنة: 1424هـ. السعودية: دار ابن الجوزي.

(479/2).

³⁵. كما في النصوص الدالة على فضل المواطن الثلاثة التي تشد إليها الرحال، قال صلى الله عليه وسلم: "لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى" البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. طبعة: 3، سنة: 1407هـ. بيروت: دار ابن كثير. (ح: 1132). (كتاب الكسوف). (باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة). (398/1).

عنه ابتغاء رفعته ورد الأعداء، والسعي إلى الرقي به في جميع المجالات الدينية، والسياسية، والأخلاقية، والثقافية وغيرها، وكان هذا كله من أجل الله تعالى، فهذا واجب لا بد منه. ذكر ابن عثيمين أنّ من قاتل دفاعاً عن وطنه لأنّه وطن إسلامي تحب حمايته، وحماية المسلمين فيه، فنيته إسلامية صحيحة، وفعله هذا في سبيل الله تعالى³⁶.

المبحث الثاني

مفهوم الاتجاه الوطني في التفسير

يتكون هذا اللفظ المركب من عدة مصطلحات، معانيها على النحو الآتي:

المطلب الأول: مفهوم الاتجاه

الاتجاه: "وَجَّهَ النَّحْلَ: غَرَسَهَا فَأَمَّا هَا قَبْلَ الشَّمَالِ... يُقَالُ: قَعَدْتُ وَجَاهَكَ، وَتُجَاهَكَ، أَي: حِذَاءَكَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِكَ، وَفِي الصَّحَاحِ: أَي قِبَالَتَكَ. وَفِي حَدِيثِ صَلَاةِ الْخَوْفِ: (وَطَائِفَةُ وَجَاهِ الْعَدُوِّ)³⁷، أَي: مُقَابَلَتَهُمْ وَحِذَاءَهُمْ، وَلَقِيَهُ وَجَاهًا وَمُوَاجَهَةً: قَابَلَ وَجْهَهُ بِوَجْهِهِ، وَالْمُوجَّهُ، كَمَعْظَمٍ: ذُو الْجَاهِ، كَالْوَجْهِ"³⁸. ذكر ابن منظور أنّه اتباع شيء موجه، والشيء الموجه الذي يجعل على جهة واحدة ولا يختلف، والوجهة: الموضع الذي تتوجه إليه وتقصده³⁹. وفي التنزيل قوله عز وجل: (وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيْهَا)⁴⁰، يعني: قبلة⁴¹.

يظهر من التعريفات السابقة أنّ الاتجاه في اللغة: الشيء الموجه الذي يقصد، ويُلْتَفَت إليه من جهة، أو موضع، أو طريق، أو غاية.

أما في الاصطلاح فقد تنوعت اتجاهات المفسرين من ناحية عملية عند النظر في تفاسيرهم، فمنهم من قصد جمع المأثور، ومنهم من قصد البلاغة، ومنهم من قصد آيات الأحكام ... لكن لم ينقل عن

³⁶ . ينظر: ابن عثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد. (479/2).

³⁷ . البخاري، صحيح البخاري. (ح: 3900). (باب غزوة ذات الرقاع). (كتاب المغازي). (1513/4).

³⁸ . الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية. (538/36).

³⁹ . ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر. (555/13).

⁴⁰ . سورة البقرة: آية 148.

⁴¹ . يُنظر الفراء: معاني القرآن. (85 / 1). والطبري: جامع البيان. (193 / 3). والسمعي: تفسير القرآن. (153 / 1).

معظمهم معنى واضح للاتجاه، كما نُقل عنهم تعريف المناهج، ولعل في هذا الفعل إبقاء إلى الاشتراك بين المناهج، والاتجاهات في المعنى. غير أنّ المتأمل يجد أنّ هناك فرقاً بين المصطلحين يتضح من خلال النظر في تعريف بعض العلماء المعاصرين للاتجاه.

يقول المشني: "مجموعة من الأفكار، والنظرات، والمباحث التي تشيع في عمل فكري كالتفسير بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبية على ما سواها... تعكس بصدق مصدر الثقافة التي تأثر بها المفسر وَلَوْنَتْ تفسيره بلونها"⁴². ويقول مساعد الطيار: "الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره، وغلبت عليه، أو كانت بارزة في تفسيره، بحيث تميز بها عن غيره"⁴³.

يتبين لنا أنّ الاتجاه في التفسير ما قصده المفسر، وغلب عليه أثناء تفسيره، وبهذا يتفق المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي.

إنّ الناظر في التعريف اللغوي، والاصطلاحي لكلمة (الاتجاه) يجد أنّها جاءت للدلالة على شيئين: **الأول:** للدلالة على الشيء المادي الحسي، حيث أُطلق على الطريق التي يعرفها الانسان. **والثاني:** للدلالة على الشيء النظري حيث أُطلق على الأمور العلمية المرسومة في التفسير، والتي قصد المفسر تحقيقها، وغلبت على تفسيره، والتي يتعرف عليها بالبحث والدراسة.

وإذا أردنا أن نبرز الفرق اللطيف بين الاتجاه، والمنهج لا بدّ أن ننظر في مفهوم المناهج، ومما جاء فيها، أنّها: "الطريق المنهج أي: السلوك"⁴⁴، وجاء أيضاً أنّها: "الأساليب التي يتبعها المفسرون لبيان مراد الله تعالى من آيات القرآن الكريم، بحسب الطاقة البشرية"⁴⁵.

من هنا يتبين لنا أنّ الفرق بين الاتجاه والمنهج: أنّ الاتجاه هو الغاية، والمقصد، والهدف الذي يريد المفسر تحقيقه، أما المنهج فهو الطريقة التي يسلكها من أجل الوصول للمقصد، والهدف.

المطلب الثاني: مفهوم الوطنية

⁴². المشني: أثر اتجاهات المفسرين في مناهجهم. (ص: 120).

⁴³. الطيار، مساعد. فصول في أصول التفسير. (ص 20).

⁴⁴. المناوي، محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية. طبعة: 1، سنة: 1410 هـ. بيروت: دار

الفكر. (681/1).

⁴⁵. مسلم، مصطفى: مناهج المفسرين. طبعة: 1، سنة: 1415 هـ. الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع. (ص: 15).

إذا أردنا أن نعرف مفهوم كلمة الوطنية، فلا بد أن نتعرف على معاني المصطلحات الآتية:

أولاً: مفهوم الوطن: هو "مَنْزِلُ الْإِقَامَةِ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَمَحَلُّهُ، وَأَوْطَنَ، أَي: أَقَامَ، وَأَوْطَنَهُ إِيطَانًا وَوُطَنَهُ تَوْطِينًا، وَاسْتَوْطَنَهُ إِذَا اتَّخَذَهُ وَطَنًا، أَي مَحَلًّا، وَمَسْكَنًا يَقِيمُ بِهِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: (نَحَى عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ، وَأَنَّ يُوطِنَ الرَّجُلُ فِي الْمَكَانِ بِالْمَسْجِدِ كَمَا يُوطِنُ الْبَعِيرُ)"⁴⁶، أَي: أَنَّ يَأْلَفَ مَكَانًا مَعْلُومًا مَخْصُوصًا بِهِ يُصَلِّي فِيهِ"⁴⁷. وجاء هذا المعنى في المعجم الوسيط، وأضيف عليه: أَنَّ إِلَيْهِ الْإِنْتِمَاءَ، وَإِلَيْهِ الْمَأْوَى، فَمَرِضُ الْبَقْرِ، وَالْغَنَمِ هُوَ الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ"⁴⁸.

يقول الجرجاني: "الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة: موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يوماً، أو أكثر من غير أن يتخذه مسكناً"⁴⁹.

ثانياً: الوطنية: هي "انتساب إلى المكان الذي يستوطنه الانسان"⁵⁰. وتعني أيضاً "حب الوطن، والشعور بانتماء باطني نحوه"⁵¹. كما تطلق الوطنية على المشاعر الجياشة، والعاطفة القوية، التي يكنها الأفراد والمواطنون لدولتهم، أو وطنهم"⁵².

يظهر في التعريفات التركيز على الجانب العاطفي، والمشاعر تجاه الوطن، وهذا يغطي جانباً فقط من جوانب الوطنية. لذا فالتعريف المختار للوطنية هو: "شعور الفرد بحب وطنه الأصغر، وإلمامه بتاريخه، وقضايا حاضره وطموحات مستقبله، واستعداده لبذل كل ما يملك للدفاع عنه، وخدمته في شتى المواقع، والدفاع عن الوطن الأكبر، والذي يضم رقاع الأمة كلها"⁵³.

⁴⁶ . جاء هذا الحديث في سنن أبي داود مع اختلاف يسير في اللفظ، فعن عبد الرحمن بن شبل قال: نَحَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نَقْرَةِ الْغُرَابِ وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ وَأَنَّ يُوطِنَ الرَّجُلُ الْمَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ كَمَا يُوطِنُ الْبَعِيرُ". أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. بيروت: دار الكتاب العربي. (ح: 862). (كتاب الصلاة). (باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع، والسجود). (322/1). قال الألباني: "حديث حسن".

⁴⁷ . الزبيدي، تاج العروس. (261/36).

⁴⁸ . ينظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون. المعجم الوسيط. تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة. (1042/2).

⁴⁹ . الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. طبعة: 1، سنة: 1405 هـ. بيروت: دار الكتاب العربي. (327/1).

⁵⁰ . الزبيدي، عبد الرحمن، مبدأ المواطنة في المجتمع السعودي. مجلة المعرفة، عدد 120، سنة: 1426 هـ. ص 9.

⁵¹ . الحصري، ساطع. آراء وأحاديث في الوطنية والقومية. طبعة: 2، سنة: 1985 م. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. (ص9).

⁵² . ينظر: حشيم، مصطفى عبد الله. موسوعة علم السياسة. طبعة: 1، سنة: 1425 هـ. ليبيا: الدار الجماهيرية. (ص 459).

⁵³ . التربية الوطنية في الاسلام "دراسة تحليلية". (ص 6).

والفرق بين تعريف المسلم للوطنية، وتعريف غيره من الوطنيين العلمانيين والقوميين، هو: أننا نرسم حدود الوطنية بالعقيدة، " فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله"⁵⁴، فأينما وجد مسلم موحد يدين بعقيدة أهل الاسلام، فثَمَّ وطن له حرمة، وقداسته، وحرية أفراد، ووجب الدفاع عنه إذا وقع عليه اعتداء، يذكر القرضاوي كلاماً حول هذا المعنى: إنّ هناك أمة واحدة ينتمي إليها المسلم وبها يعتز، وتؤمن برب واحد، وكتاب واحد، ونبي واحد وقبلة واحدة. تتكون من شعوب وقبائل في أقطار وأقاليم، وهي أمة واحدة تجمعها العقيدة، وتربط بينها الشريعة، وتوحدتها القيم والآداب والأخلاق الإسلامية، فهي عالمية وليست قومية، ولم تنشأ بإرادة فرد أو حزب، لأنّها من صنيع الله تعالى، تتميز بعدة خصائص، ومقومات، فهي أمة وسطية في كل شيء من التصور والاعتقاد، إلى السياسة، والاقتصاد، وغيرها من مناحي الحياة. وهي أمة خالدة⁵⁵.

المطلب الثالث: مفهوم التفسير

المتتبع لمعنى التفسير في اللغة يجد أنّه يقف أمام اتجاهين اثنين في تحديد معناه:

الأول: أنّ التفسير مشتق من القَسْر بمعنى: الكشف، والبيان، وفسره، أي: أبانه⁵⁶. **والثاني:** أنّه مقلوب، فيكون الجذر (السَفَر)، ومعناه: كشف الغطاء، فيقال: امرأة سَافِرَة أي التي أَلْقَتْ خِمَارَهَا عَنْ وَجْهِهَا، وَسَفَرَ الصُّبْحُ، سَفَرًا، أي: أضاء، وأشرق، وسمي السَفَر سَفَرًا لأنّه يُسْفَر، ويكشف عن وجوه المسافرين، وأخلاقهم، فيظهر ما كان خفيا فيها⁵⁷.

والمأمل يجد أنّ دلالة كلا الجذرين تجتمع في المعنى، فكلاهما يعني: الكشف عن المغلق، وبيانه، وتوضيحه.

أما في الاصطلاح، فقد تنوعت تعريفات العلماء الاصطلاحية لكلمة التفسير، منهم من أطالوا فيها، ومنهم من أوجز وأبلغ، ومن تعريفات من أطالوا: أبو حيان، في قوله: "علم يبحث فيه عن كيفية النطق

⁵⁴ . قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي. في ظلال القرآن. طبعة: 17، سنة: 1412هـ. بيروت: دار الشروق. (12/1).

⁵⁵ ينظر: يوسف القرضاوي. من أجل صحوة راشدة: تجدد الدين وتنهض بالدنيا. دار الشروق. (ص: 158-159).

⁵⁶ . ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. طبعة: 1، بيروت: دار صادر. (55/5).

⁵⁷ . ينظر: الزبيدي، تاج العروس. (38/12-41).

بألفاظ القرآن, ومدلولاتها, وأحكامها الإفرادية, والتركيبية, ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب, وتتمت ذلك⁵⁸. ومن أوجزوا وأبلغوا الزرقاني في قوله: هو "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالة على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"⁵⁹.

ويجتمع المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي للتفسير في أنّ كليهما يسعى للكشف عن المغطى, وبيانه, وتوضيحه.

المطلب الرابع: مفهوم المصطلح المركب (الاتجاه الوطني في التفسير)

نستطيع أن نفهم هذا المصطلح المركب في ضوء ما سبق بيانه بالنظر إلى ناحيتين, وهما: الناحية النظرية, والناحية العملية:

أما الأولى: مفهوم الاتجاه الوطني في التفسير من الناحية النظرية: إنّ الاتجاه الذي يهدف إلى إبراز القضايا التي تتعلق بالأرض -الوطن-, وبسطها, وتحديد معالمها, والافادة منها, والدفاع عنها, من خلال ما جاء في كتب التفسير القديمة, والحديثة, وقد برز هذا الاتجاه في كتب التفسير القديمة والحديثة, ولكنّه ظهر بشكل واضح في كتب التفسير الحديثة لحاجة الناس إلى فهم الأمور التي تحيط بأوطانهم, خاصة في التفاسير التي كتبت في ظل الصراعات مع الأعداء, لأنّ التفاسير في عمومها كانت تتوجه إلى الأولويات التي تحيط بالمجتمعات.

وقد سعى أصحاب هذا الاتجاه إلى الاستعانة بالتفسير لما له من مكانة عظيمة عند الناس خاصة أنّه مرتبط بالقرآن الكريم, من أجل حل المشكلات التي تعاني منها أوطانهم على تنوعها.

وأما الثانية: أما المفهوم من الناحية العملية: فإنّ الدعوة إلى تنزيل أقوال المفسرين التي تتناول الحديث عن الأوطان, على الواقع, من أجل السعي إلى رفعها, خاصة التفاسير التي كتبت في ظل الأزمات لتوجيه هذه المجتمعات إلى ما يفيدهم في سبيل الوصول إلى خير بلادهم, وتعريفهم بما لا يفيدهم حتى يبتعدوا عنه, ويتجنبوه.

⁵⁸ . أبو حيان, محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. تحقيق: أحمد عادل وآخرون. طبعة: 1, سنة: 1422هـ. بيروت:

دار الكتب العلمية. (121/1).

⁵⁹ . الزرقاني, محمد عبد العظيم, مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: مكتب العلوم والدراسات. طبعة: 1, سنة: 1996م. بيروت:

دار الفكر. (4/2).

المبحث الثالث

أساليب الاستدلال على الاتجاه الوطني في التفسير

أولاً: الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال مقدمة التفسير: إنّ الناظر في مقدمة التفسير يجد أنّ جل المفسرين قد دونوا فيها خلاصة أفكارهم، حول منهجهم في فهم الآيات القرآنية، وبيان مواقفهم من مسائل علوم القرآن، وبيان الجو الذي كتب فيه التفسير، وبيان تأثير المفسر بغيره، أو بالظروف المحيطة به، وغير ذلك من المسائل، بتفاوت ظاهر بينهم. وإذا نظرنا في كتب التفسير عموماً نجد أنّها أبرزت ما يدل على الاتجاه الوطني من بداية التفسير، ومن الشواهد على ذلك الآتي:

1. ذكر الأوطان الفاضلة، والاشادة بها، وإبراز النسبة إليها، إنّ وردت في كلام المفسر، ومثالها ما قاله الزمخشري في مقدمة تفسيره "الكشاف"، وهو يتحدث عن الدوافع التي دفعته إلى كتابة التفسير عند حديثه عن مكة: "فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإنابة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة... فلما حططت الرحل بمكة إذا أنا بالشعبة السنية"⁶⁰. ويقول ابن كثير في مقدمة تفسيره عندما أثنى على النبي صلى الله عليه وسلم: "والحمد لله الذي أرسل رسله (مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِقَلَّا يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)"⁶¹، وختمهم بالتبّي الأمّي العربي المكي الهادي لأوضح السبل"⁶².

2. حديث المفسر في مقدمة تفسيره عن حال وطنه خاصة، أو عن أحوال أوطان المسلمين عامة، فقد ذكر الزمخشري في بيانه للأسباب التي دفعته إلى كتابة التفسير حاجة البلدان لهذا العلم: "وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها، وقليل ما هم عطشى الكباد إلى العثور على ذلك المملّى"⁶³. ويقول قطب: "وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي

⁶⁰ الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. (44/1).

⁶¹ سورة النساء: آية 165.

⁶² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (5/1).

⁶³ الزمخشري، الكشاف. (44/1).

تموج في الأرض ... وعشت في ظلال القرآن أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد.. إنه إنسان بنفخة من روح الله"64.

3. حديث المفسر في مقدمة تفسيره عندما يتناول الحديث عن الجو الذي كتب فيه التفسير عن المعاناة التي يعانيها في وطنه، كحديث دروزة عن المهجرة، والسجن، والتعذيب65.

4. بيان المفسر مفهوم الوطن، يقول قطب: "ولأنّ الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة التي يتجمع عليها البشر هي الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة. جعلها آصرة العقيدة في الله.. فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه، وهي أهله"66.

5. بيان المفسر للدور العظيم للقرآن الكريم، وأنه قادر على أن يعمل في كل بيئة، وتحت كل ظرف، وفي كل مرحلة، وأنه قادر على مواجهة كل إشكال. يقول ابن عطية في مقدمة تفسيره: "ورجوت أنّ الله تعالى يحرم على النار فكراً عمرته أكثر عمره معانيه، ولساناً مرن على آياته ومثانيه ونفساً ميزت براعة رصفه ومبانيه وجالت سومها في ميادينه ومغانيه، فثنيت إليه عنان النظر وأقطعت جانب الفكر وجعلته فائدة العمر وما ونيت علم الله إلا عن ضرورة بحسب ما يلم في هذه الدار من شغوب ويمس من لغوب"67.

6. بيان الفوائد الكبرى لعلم التفسير، وأنه يفيد في كل الجوانب، والتي من بينها جملة من الأمور التي ترقى بالوطن، فهو علم يعين على استخراج ما في الآيات القرآنية من "حقائق وقيم مختلفة عقدية، وتشريعية، وأخلاقية، ونفسية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وتاريخية، وكونية"68. فعلم التفسير فيه نصيب وافر من سائر المعارف التي يحتاج إليها الانسان69. وتحتاجها الأوطان.

ثانياً: الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال حديث المفسرين عن الوطن، وما يقع فيه: وهذا ظاهر جداً في معظم التفاسير القديمة والحديثة، ولكنه في التفاسير الحديثة أظهر، عندما يتعرض المفسر

64. قطب، في ظلال القرآن. (12/1).

65. ينظر: دروزة، التفسير الحديث. (4/6).

66. قطب، في ظلال القرآن. (12/1).

67. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. طبعة: 1، سنة: 1413هـ.

لبنان: دار الكتب العلمية. (34/1).

68. ينظر: ابن باديس، تفسير ابن باديس، (25/1).

69. ابن عطية، المحرر الوجيز. (34/1).

للحديث عن وطنه، ومن الشواهد على ذلك، ما ذكره ابن عطية عند تفسيره لقوله تعالى: (وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)⁷⁰، حيث جعل تفسيرها مقترناً بوطنه الأندلس، فقال: "فذكر فيه أن هلاك الأندلس، وخرابها يكون بسنابك الخيل، واختلاف الجيوش فيها"⁷¹. وما ذكره سيد قطب عند تفسيره لقوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)⁷² حيث قال وهو يتحدث عن نتائج نقل الحريات وتحقيق الرخاء الاقتصادي في بلده مصر: "إذا كانت أقصى أحلامنا أن نحقق للشعب هذا المستوى الاقتصادي الممتاز؛ وأن نزيل الفوارق بين الطبقات بهذا الاتجاه الاشتراكي الناجح؛ وأن نؤمن المواطن ضد كل ما يستطيع أي عقل أن يتصوره من أنواع العقبات في الحياة إذا وصلنا إلى هذا الحلم البهيج الذي نسعى بكل قوانا وإمكانياتنا إلى تحقيقه في مصر فهل نرضى نتائجه الأخرى؟"⁷³.

ثالثاً: الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال الواقع العام لوطن المفسر: من الأمور التي راعتها الشريعة، ودعت إليها، وتمثلت واقعاً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وحياة أصحابه رضوان الله عليهم، فالواقع سواء من الناحية السياسية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو غيرها، له أثر كبير على الإنسان، وعلى تكوين شخصيته، فالإنسان وليد عصره، وابن بيئته، لذا أصبح من الضرورة بمكان مراعاة المفسر للواقع الذي يحياه في كتاباته، فالمفسر الفذ هو الذي تلامس كتاباته الواقع الذي يعيشه. فمعرفة حال الوطن الذي يعيشه المفسر تعطيك صورة أولية عما سيتخلل تفسيره خاصة عند حديثه عن الوطن. ومن الشواهد على ذلك كتاب (تفسير النابلسي) يظهر فيه الاتجاه الوطني واضحاً في تفسيره، بدءاً من حديثه في المقدمة، ومن الاشارات الدالة على ذلك ما جاء فيها قوله: "فأصل هذا الكتاب دروس عقدت في رحاب مسجد الشيخ عبد الغني النابلسي بدمشق الشام فرج الله عنها وعن جميع بلاد المسلمين"⁷⁴، مروراً بعرضه لمنهجه في الكتاب، فقد قال: "ومما اعتنيت به في هذا التفسير الاسقاطات الواقعية، مجتهداً في إسقاط معاني الآيات القرآنية على واقع المسلمين اليوم، انطلاقاً من أن القرآن

⁷⁰ . سورة الاسراء: آية 57.

⁷¹ . ابن عطية، المحرر الوجيز. (482/3).

⁷² . سورة النساء: آية 26

⁷³ . قطب، في ظلال القرآن. (100/2).

⁷⁴ . النابلسي، محمد راتب. تفسير النابلسي "تدبر آيات الله في النفس، والكون، والحياة".

الكريم منهج حياة...⁷⁵. ومنها ما جاء في الأساس في التفسير: "والذي أراه في أحوالنا المعاصرة: أنّ الحركة الإسلامية في عصرنا ينبغي أن تكون دقيقة في تربيتها لعناصرها، وواسعة الأفق في موضوع الطروح السياسية، فتربي عناصرها على الوضع الأكمل والأورع وعلى ما هو الأصل في الأحكام، وتتبنى في مواقفها السياسية ما هو الأصلح والأنسب لعصرنا من مجموع أقوال العلماء أهل الفتوى البصيرة، بما يسع أوضاع عصرنا"⁷⁶.

رابعاً: الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال التوجه الفكري للمفسر: إنّ المعرفة المسبقة بالتوجه الفكري للمفسر، تعطي صورة عن بعض المحاور التي تناولها، أو تناول بعضها في تفسيره، ومن القرائن التي تعين على معرفة التوجه الفكري للمؤلف النظر في الآتي:

- شيوخه، وتلاميذه خصوصاً المقربين منه، فهذا محمد رشيد رضا يتبنى بكل وضوح أفكار شيخه محمد عبده الإصلاحية⁷⁷.
- مؤلفاته بعناوينها، ومضامينها، فهذا سيد قطب عندما تقرأ عناوين مؤلفاته تصبح لديك فكرة جزئية عن فكره، فمثلاً: كتابه المستقبل لهذا الدين، وكتابه هذا الدين، وكتابه العدالة الاجتماعية، وكتابه معالم في الطريق، وكتابه الطغيان، والطواغيت في ظلال القرآن، وكتابه نحو مجتمع إسلامي، وكتابه الاسلام، ومشكلات الحضارة ... وغيرها. وهذه العناوين ترشد القارئ إلى أنّ هذا المؤلف يريد تغيير الواقع الذي يحياه من ظلم، وطغيان، وإبعاد للشريعة، إلى واقع يحكمه الاسلام، وينتشر فيه العدل والرحمة.

خامساً: الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال حديث المفسر عن الوطن، الشواهد على ذلك كثيرة، ومنها:

- كثرة ذكر الوطن باسمه صريحاً في التفسير، ومن الشواهد على ذلك: جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ذكر دمشق التي ربي فيها في أكثر من ثمانين موضعاً⁷⁸، وفي تفسير في ظلال

⁷⁵. النابلسي، تفسير النابلسي، (15/1).

⁷⁶. حوى، سعيد. الأساس في التفسير. طبعة: 6، سنة: 1424 هـ. القاهرة: دار السلام. (740/2).

⁷⁷. ينظر: عباس، فضل. التفسير والمفسرون. طبعة: 1، سنة: 2016 م. الأردن: دار النفائس. (1/ص 94، ص 97).

⁷⁸. ينظر إلى الأمثلة الآتية: (1/529، 1/627، 1/677، 2/92، 2/462، 3/231، 3/320، 3/445، 4/157، 4/466، وغيرها).

القرآن جاء ذكر مصر في أكثر من تسعين موضعاً⁷⁹، وفي التفسير الحديث جاء ذكر فلسطين، والمسجد الأقصى في أكثر من مائة موضع⁸⁰

- كثرة ذكر المعتدين على الوطن في التفسير، فهذا محمد عزت دروزة الفلسطيني يذكر في تفسيره لفظ (اليهود) مئات المرات.

المبحث الرابع

نماذج تدل على ظهور الاتجاه الوطني في التفسير

برز الاتجاه الوطني في التفسير بصورة جلية في عدد من كتب التفسير القديمة والحديثة، على خلاف في مقدار الظهور، بين مقلّ ومكثر، غير أنّ هذا التوجه كان في كتب التفسير الحديثة أكثر ظهوراً. ومن باب التأصيل لهذه النظرية نبدأ بعرض نموذج من كتب التفسير القديمة يظهر من خلال النظر فيه الاتجاه الوطني في التفسير، ثم عرض نموذجاً من كتب التفسير الحديثة.

المطلب الأول: الاتجاه الوطني في تفسير المحرر الوجيز لابن عطية

ابن عطية: هو الامام القاضي، والفقيه الحافظ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن تَمّام الأندلسي المحاربي، ولد في مدينة غرناطة سنة: 481هـ⁸¹، فهو مالكي غرناطي⁸²، وكانت ولادته بعد معركة الزلاقة، المشهورة وقد عاصر ابن عطية دولة المرابطين⁸³ في الأندلس.

يظهر لمن يدرس حياة ابن عطية أنّه يجد فيها بوضوح وجلاء أنواعاً مختلفة من الجهاد، فقد جاهد في سبيل العلم حتى وصل فيه إلى أعلاه، وجاهد في ميدان القتال ضد أعداء الاسلام، فقد عاش في أيام

⁷⁹. ينظر إلى الأمثلة الآتية: (871/2, 990/2, 1348/3, 1356/3, 1984/4, 1993/4, 2005/5, 2014/4, 2025/4, 2338/4, وغيرها).

⁸⁰. ينظر إلى الأمثلة الآتية: (295/1, 519/1, 118/2, 164/2, 180/2, 306/2, 318/2, 441/2, 479/2, 523/2, وغيرها).

⁸¹. ينظر: لسان الدين بن الخطيب، عبد الله بن سعد بن أحمد. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق: يوسف علي طويل. طبعة: 1، سنة: 1424هـ. بيروت: دار الكتب العلمية. (414/2).

⁸². ينظر: الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة. (45/38).

⁸³. تشكلت دولة المرابطين السنية من قبائل صنهاجة التي تمثل أكثر من سبعين قبيلة بربرية من أهمها: لتونة، وجدالة، ولطة، ومسوفة. كان الزعيم الأول لهم، هو: عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي. الصلابي، علي محمد. الجواهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين. طبعة: 1، سنة: 1424هـ. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية. صفحات: (13, 23).

المرابطين التي كانت أيام معارك, وحروب دامية, وكان ابن عطية ممن حملوا السيف, واشتركوا في الغزوات, فكتابات ابن عطية في عمومها كانت في هذه الأجواء, أجواء الرباط والغزوات, وانعكست هذه الأجواء على تفسيره بشكل واضح, وهناك جملة من المعالم الدالة على ظهور الاتجاه الوطني فيه, ومنها:

1. التصريح بحب الوطن, وبيان أنّ عز المرء يكون في وطنه, ومّا جاء في ذلك ما قاله ابن عطية وهو يتحدث عن قتل صاحب ياسين -حبيب النجار-, وأنّه قتل في غربة, فعقب قتله بقول الشاعر: "والعز مطلوب, وملتمس وأحبه ما نيل في الوطن"⁸⁴.

2. الحديث عن الوطن وأحواله, سواء كان ذلك بذكره صراحة أو كناية, عندما تمكنه الآيات من ذلك, ومما جاء في ذلك ما ذكره ابن عطية عند حديثه عن الأندلس وبين أنّ من أبرز الأسباب التي قد تؤدي إلى هلاكها اختلاف جيوشها⁸⁵.

3. حمل بعض الآيات على أنّها في الوطن, كما فعل عند حديثه عن موقع كهف أصحاب الكهف, فقد قال: "وبالشام على ما سمعت من ناس كثير كهف كان فيه موتى يزعم محابيه أنّهم أصحاب الكهف وعليهم مسجد وبناء يسمى الرقيم ومعهم كلب رمة وبالأندلس في جهة غرناطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه موتى ومعهم كلب"⁸⁶.

4. الحديث عن حبّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأوطانهم, قال في تفسيره لقوله تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁸⁷. أي: إنّ هذا التحويل كان لمحبته⁸⁸. وما قاله أيضاً في تفسيره لقوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا)⁸⁹. "وفي قصص هذه الآية أنّ موسى عليه السلام لما قضى الأجل أراد أن يسير بأهله إلى مصر بلده وقومه..."⁹⁰.

84 . ابن عطية, المحرر الوجيز. (517/4).

85 . ينظر: ابن عطية, المحرر الوجيز. (482/3).

86 . ابن عطية, المحرر الوجيز. (535/3).

87 . سورة البقرة: آية 144.

88 . ينظر: ابن عطية, المحرر الوجيز. (208/1).

89 . سورة القصص: آية 29.

90 . ابن عطية, المحرر الوجيز. (337/4).

5. بيان الأحكام الخاصة بأهل وطنه, "قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: والميزاب هو قبلة المدينة, والشام, وهنالك قبلة أهل الأندلس بلا ريب, ولا خلاف أنّ الكعبة قبلة من كل أفق, وقوله تعالى: (قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁹¹".

6. طريقته في التعامل مع آيات الجهاد, فقد ظهر من خلال استقراءها والنظر في تفسيرها جملة من الأمور التي تظهر حبّ الوطن, والانتماء إليه, والحماسة في القتال, والرباط دفاعاً عنه, ومن الشواهد على ذلك:

أ. تناوله لحكم الجهاد عند نزول العدو في أرض الوطن عند تفسيره لقوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)⁹³ فقال: "قال جمهور الأمة: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين, قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه واستمر الإجماع على أنّ الجهاد على أمة محمد فرض كفاية, فإذا قام به من قام من المسلمين سقط عن الباقيين إلا أن ينزل العدو بساحة للإسلام فهو حينئذ فرض عين"⁹⁴.

ب. الحث على الجهاد, وبيان فضائله وفوائده قال في تفسير قوله تعالى: (... وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ...) ⁹⁵ "خص الجهاد بالذكر لوجهين: أحدهما نباهته في أعمال البر, وأنه قاعدة الإسلام, وقد دخل بالمعنى في قوله: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ), ولكن خصه تشريعاً"⁹⁶. وبين ابن عطية أنّ في الجهاد "نصر الدين, والرد على المبطلين, وقمع الظالمين, وعظمة الأمر بالمعروف, والنهي عن المنكر"⁹⁷. وبين أنّ في الجهاد دليل على وفاء العبد في بيعته مع ربه, فالله اشترى والمؤمنون باعوا أموالهم وأرواحهم في سبيل الدفاع عن دينهم وأرضهم وعرضهم⁹⁸.

⁹¹ . سورة البقرة: آية 144.

⁹² . ابن عطية, المحرر الوجيز. (208/1).

⁹³ . سورة البقرة: آية 216.

⁹⁴ . ابن عطية, المحرر الوجيز. (275/1).

⁹⁵ . سورة المائدة: آية 35.

⁹⁶ . ابن عطية, المحرر الوجيز. (217/2).

⁹⁷ . ابن عطية, المحرر الوجيز. (379/4).

⁹⁸ . ينظر: ابن عطية, المحرر الوجيز. (98/3).

ت. بيان أنّ الفرار من القتل لا يأت بخير، وأنّه خطر كبير على الأوطان، قال في تفسيره لقوله تعالى: (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا)⁹⁹. "أمر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن يخاطبهم بتوبيخ فأعلمهم بأنّ الفرار لا ينجيهم من القدر وأعلمهم أنّهم لا يتمتعون في تلك الأوطان"¹⁰⁰.

ث. الدعوة إلى الرباط دفاعاً عن الأوطان يقول ابن عطية: "إنّ المرباط مدافع لأنّه لولا مكان المرباطين في الثغور لجاءها العدو"¹⁰¹.

ج. بيان مخاطر ترك الجهاد خاصة على الأوطان كما في تفسيره لقوله تعالى: (وَعَسَى أَنْ تُحِثُّوا شَيْئًا وَهُمْ شَرٌّ لَكُمْ ...) ¹⁰², "وعسى أن تحبوا الدعة، وترك القتال، وهو شر لكم، في أنّكم تغلبون، وتذلون، ويذهب أمركم"¹⁰³. وإن ترك الجهاد هو وضع للباطل في موضع الحق ¹⁰⁴, وظلم كبير يعذب عليه أهل القرى"¹⁰⁵.

7. تعرية المنافقين -الجواسيس- وبيان خطرهم على الأوطان، ودار حديثه حول: بيان دور الخطير للمنافقين في التشكيك في المصلحين، "وقال ابن عباس: نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الذين قتلوا في غزوة الرجيع عاصم بن ثابت، وخبيب، وابن الدثنة وغيرهم، قالوا: ويح هؤلاء القوم لا هم قعدوا في بيوتهم، ولا أدوا رسالة صاحبهم، فنزلت هذه الآيات في صفات المنافقين، ثم ذكر المستشهدين في غزوة الرجيع في قوله: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...) ¹⁰⁶"¹⁰⁷. بيان فرح المنافقين إذا وقع ما يسيء المؤمنين كهزيمة جند، أو سقوط وطن، قال في تفسير قوله تعالى: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ) ¹⁰⁸, "قال جمهور المفسرين: الآية في المنافقين... فإذا طرأت لهم شبهة أمن للمسلمين، أو فتح عليهم، حقروها، وصغروا

99 .

100 . ابن عطية، المحرر الوجيز. (431/4).

101 . ابن عطية، المحرر الوجيز. (572/1).

102 . سورة البقرة: آية 216.

103 . ابن عطية، المحرر الوجيز. (275/1).

104 . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (346/4).

105 . ابن عطية، المحرر الوجيز. (346/4).

106 . سورة البقرة: آية 207.

107 . ابن عطية، المحرر الوجيز. (264/1).

108 . سورة النساء: آية 83.

شأنها، وأذاعوا بذلك التحقير، والتصغير، وإذا طرأت لهم شبهة خوف المسلمين، أو مصيبة عظموها، وأذاعوا ذلك التعظيم وأذاعوا به، معناه: أفشوه¹⁰⁹. بيان دورهم في بث الاشاعات بين المؤمنين خاصة في أوقات الصدام مع أعدائهم، قال في تفسيره لقوله تعالى: (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ)¹¹⁰ "الاشارة بقوله (الذين كفروا) إلى المنافقين الذين جنبوا المسلمين، وقالوا في أمر أحد لو كان محمد نبيا لم يهزم، والذين قالوا قد قتل محمد فلنرجع إلى ديننا الأول"¹¹¹.

8. نشر القيم الإيجابية، والآداب التي يظهر من خلالها تحفظ الأوطان، ومنها:

1. التحذير من الظلم، وبيان خطره العظيم على الأوطان: يقول ابن عطية: "إنَّ الله تعالى يمهّل الدول على الكفر، ولا يمهّلها على الظلم والجور"¹¹².

2. بيان سنة الله تعالى في أخذ الظالمين: قال ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: "قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ"¹¹³. في الآية وعيد وحض على الإيمان فمن لج في الكفر والظلم حل به العذاب وإذا آمنوا نجوا وهذه سنة الله تعالى في الأمم الخالية¹¹⁴.

9. الاهتمام بقضايا الوطن المختلفة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها: ومن الشواهد على حديثه عن الأمور السياسية: الدعوة إلى قيام الحكام بواجباتهم، ومنها مثلاً إقامة الحدود والقصاص¹¹⁵، تنبيه الحكام والولاة إلى وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر¹¹⁶. الاهتمام بقضايا المسلمين، وقضايا أهل الذمة¹¹⁷، وغير ذلك. ومن الشواهد على حديثه عن الأمور الاقتصادية: الحديث عن حل البيع¹¹⁸، وحرمة الربا، وبيان أنَّ الله تعالى أعلن الحرب

¹⁰⁹ . ابن عطية، المحرر الوجيز. (99/2).

¹¹⁰ . سورة آل عمران: آية 151.

¹¹¹ . ابن عطية، المحرر الوجيز. (551/1).

¹¹² . ابن عطية، المحرر الوجيز. (228/3).

¹¹³ . سورة يونس: آية 101.

¹¹⁴ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (163/3).

¹¹⁵ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (230/1).

¹¹⁶ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (509/1).

¹¹⁷ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (226/2).

¹¹⁸ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (370/1).

على من وقع فيه¹¹⁹، والدعوة إلى العمل بالتجارة¹²⁰، والتفصيل في كثير من الأحكام التي تتعلق بالأموال، وأمور البيع كالحديث عن الكتابة، والشهاد، وأحكام الدين¹²¹، وأحكام الرهن¹²²، وغير ذلك. ومن الشواهد على حديثه عن الأمور الاجتماعية: بيان الحقوق المتبادلة بين الناس في مجتمعاتهم، كما في بيانه لحكم الابتداء بالسلام، وبيان فرضية رده على من ألقى عليه¹²³، التحذير من الاعتداء على أعراض الناس، وأكل لحومهم بالغيبة، والتميمة¹²⁴. الدعوة إلى الاحسان إلى الضعفاء كالأيتام والمساكين¹²⁵، الحث على التعاون على البر والتقوى، والتحذير من التعاون على الإثم والعدوان¹²⁶، وغير ذلك.

المطلب الثاني: الاتجاه الوطني في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا

هو الامام المفكر، المفسر، المحدث، الأديب، اللغوي، الخطيب، السياسي، أحد رواد الإصلاح في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، محمد رشيد بن علي رضا محمد شمس الدين بن منلا علي، ولد في قرية القلمون، سنة: 1282هـ، أكبر تلاميذ الاستاذ الامام محمد عبده، وخليفته الذي حمل راية الإصلاح من بعده¹²⁷.

وبالنظر إلى الجو العام الذي كتب فيه التفسير نجد أنّ محمد رشيد رضا برز في جو كان معقداً وصعباً، فقد ظهر في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، والسنوات الأولى من القرن العشرين، وهذه الفترة تعتبر من أشد السنوات على الأمة الإسلامية، فقد التقى فيها الظلم مع الاستعمار الأوروبي الصهيوني، فكان عبئ الإصلاح ثقيلاً، يحتاج إلى رجالٍ عظام¹²⁸.

¹¹⁹ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (372/1).

¹²⁰ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (50/2).

¹²¹ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (384/1).

¹²² . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (385/1).

¹²³ . ابن عطية، المحرر الوجيز. (104/2).

¹²⁴ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (492/5).

¹²⁵ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (495/5).

¹²⁶ . ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز. (174/2).

¹²⁷ . ينظر: الزركلي، الاعلام. (126/6).

¹²⁸ . العدوي، رشيد رضا الامام المجاهد. (ص3).

وجود الاتجاه الوطني في تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار": وأبرز المحاور التي تدل على وجوده الآتي:

1. الطبيعة العامة لشخصية محمد رشيد رضا تشير إلى ذلك، فقد ظهرت النزعة الوطنية في مجموعة من ممارساته العامة في حياته العامة بالنزعة الإصلاحية، منها إنشاءه جمعية الشورى العثمانية في مصر لدعم الحكومة العثمانية الجديدة، والمشاركة في عملية الإصلاح السياسي¹²⁹، وكانت له علاقة مع رموز الإصلاح في الاقطار العربية، وكان عضواً في حزب الاتحاد السوري، وكان من أنصار مذهب الشيخ محمد عبد الوهاب، وكان عضواً مشاركاً في الوفد السوري الفلسطيني إلى جنيف سنة: 1921م، وكان عضواً في اللجنة السياسية في القاهرة سنة: 1925م¹³⁰.
2. ذكر في مقدمة تفسيره المنار أنّ المقصد الأسمى لتأليفه هو: أنّ فهم كتاب الله تعالى من حيث هو دين، يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدينا وحياتهم الآخرة، فهذا هو المقصّد الأعلى للتفسير، وما وراءه من المباحث تابع له، وأداة، أو وسيلة لتحصيله¹³¹.
3. يظهر في تفسيره أنّ من أبرز معالمه مواجهة الجمود الذي خيم على أوطان المسلمين في الشرق، ومن جهة أخرى افتتاح بعض أبناء المسلمين بحضارة الغرب¹³².
4. إنّ في هذا التفسير دعوة إلى إصلاح أوضاع المسلمين في شتى البقاع والمناحي، وسلك للوصول إلى ذلك طرق متعددة، ومنها¹³³:

1. جمع كلمة المسلمين، وطي بساط الجدل في المسائل العقديّة، التي فرقت الصف.
2. الاستفادة من العلوم العصرية مع المحافظة على هوية المسلم.
3. اخراج الأمة من التخبط في أمور الدنيا، والدين.
4. عرض الحلول المناسبة لما يستجد من مشكلات في الحياة.
5. الدفاع عن الاسلام بوصفه نظاماً صالحاً لكل زمان ومكان.

¹²⁹ . عكاشة، محمد رشيد رضا: جهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي. (ص222)

¹³⁰ . ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار". طبعة: 2، بيروت: دار المعرفة. (51/1) (49/11).

¹³¹ . ينظر: رضا، محمد رشيد. تفسير القرآن الحكيم. (17/1).

¹³² . ينظر: عكاشة، محمد رشيد رضا: جهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي. (ص15).

¹³³ . ينظر: عكاشة، محمد رشيد رضا: جهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي. (ص 15، ص16).

5. التصريح بحب الأوطان، فقد بين أن الخروج من الوطن كالقتل: قال في تفسيره لقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)¹³⁴, "أي: لو أمرناهم بقتل أنفسهم أي بتعريضها للقتل المحقق أو المظنون ظناً راجحاً... أو قتلناهم: اخرجوا من دياركم أي: أوطانكم وهاجروا إلى بلاد أخرى ما فعلوه أي: المأمور به من القتل والهجرة من الوطن إلا قليل منهم... قتل النفس والخروج من الدار، وهما متقاربان؛ لأنَّ الجِسمَ دارُ الرُّوحِ، والوِطَنَ دارُ الجِسمِ"¹³⁵, وبين أن الخروج من الوطن من الفتنة التي هي أشد من القتل: قال في تفسيره لقوله تعالى: (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ)¹³⁶ قال: "إِنَّ فِتْنَتَهُمْ إِيَّاكُمْ فِي الْحَرَمِ عَنْ دِينِكُمْ بِالْإِذَاءِ وَالْتَعَذِيبِ، وَالْإِخْرَاجِ مِنَ الْوَطَنِ، وَالْمُصَادَرَةِ فِي الْمَالِ، أَشَدُّ قُبْحًا مِنَ الْقَتْلِ"¹³⁷.

6. الحديث عن أحوال وطنه الأصلي -القلمون-، كما في تفسيره لقوله تعالى: "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ..."¹³⁸ "فَإِنِّي كُنْتُ فِي بَلَدِي الْقَلْمُونِ الْمُجَاوِرَةِ لِبَطْرَائِلُسَ الشَّامِ، إِذَا سَمِعْتُ بِأَنَّ رَجُلًا ارْتَكَبَ فَاحِشَةً لَا أَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَيْهِ وَلَا الْحَدِيثَ مَعَهُ"¹³⁹.

7. الحديث عن حب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأوطانهم، قال في تفسيره لقوله تعالى: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..."¹⁴⁰. أي: أن النبي صلى الله عليه وسلم يتشوف أن تتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، ويرجو ذلك، لأنه يهوى مكة، ولا يعد هذا من الرغبة عن أمر الله تعالى لأن هوى الأنبياء عليهم السلام لا يعدوا أمر الله تعالى وموافقة رضوانه¹⁴¹.

8. الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله تعالى دفاعاً عن الأوطان إذا نزل الأعداء فيها، والثناء على المجاهدين، وما ذكره في ذلك: بيان حكم الجهاد عند نزول الأعداء في أرض الوطن، قال:

¹³⁴ . سورة النساء: آية 66.

¹³⁵ . رضا، تفسير المنار. (90/5).

¹³⁶ . سورة البقرة: آية 196.

¹³⁷ . رضا، تفسير المنار. (69/2).

¹³⁸ . سورة النساء: آية 148.

¹³⁹ . رضا، تفسير المنار. (5/6).

¹⁴⁰ . سورة البقرة: آية 144.

¹⁴¹ . رضا، تفسير المنار. (12/2).

"وَمَذَهَبُ جَمَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ كُلِّهَا أَنَّ هَذَا الْجِهَادَ وَالْقِتَالَ لِدَفْعِ الْإِغْتِدَاءِ الَّذِي يَقَعُ عَلَى الدِّينِ أَوْ الْوَطَنِ فَرَضٌ عَيْنٌ"¹⁴². وبيان فضل الجهاد في سبيل الله تعالى دفاعاً عن الأوطان، قال: "الَّذِي يَبْدُلُ مَالَهُ فِي الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ لِمَلَّتِهِ وَوَطَنِهِ فَيُكْرَمُ وَيَكُونُ قُدْوَةً فِي الْخَيْرِ. وَحَظُّهُ مِنْ كَرَامَةِ الْأُمَّةِ وَعُزْمَانِ الْوَطَنِ أَعْظَمُ مِمَّا بَدَلَ مِنَ الْمَالِ"¹⁴³. بيان دور الايمان في إشعال النفس للدفاع عن الوطن، قال: "إِنَّ مِنْ تَأْثِيرِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِ الشَّعْبِ ذَلِكَ الشُّعُورُ الَّذِي يَنْفُذُ إِلَى أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ بِاسْتِحْسَانِ الْمَوْتِ فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَمَلٌ فِي الْمُكَافَأَةِ"¹⁴⁴. بيان أن الموت أشرف من العيش بمهانة في ظل احتلال الأوطان، قال: "فألهم بعض أصحاب العزائم من قواد الدولة في الأناضول أن من أراد الحياة فعليه أن يحتقر الموت، وأن كل ميتة يموتها الإنسان، فهي أشرف من الاستحذاء، والمهانة بالاستسلام للأعداء، وأنه تعالى قد ينصر الفئة القليلة المعتصمة بالحق والصبر، على الفئة الكثيرة المعتدية بالباطل والبغي، فألفوا جمعية وطنية وضعوا لها ميثاقاً توثقوا على أن يقاتلوا في سبيله إلى أن يطهروا جميع البلاد التركية من الاحتلال الأجنبي"¹⁴⁵. بين أن التخلي عن الدفاع عن الأوطان من صفات المنافقين، والكافرين: قال في تفسيره لقوله تعالى: (وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا)¹⁴⁶ "مَعْنَاهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ نَافَقُوا قَدْ دُعُوا إِلَى الْقِتَالِ عَلَى أَنَّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَيْ: دِفَاعًا عَنِ الْحَقِّ وَالِدِّينِ وَأَهْلِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ لَا لِلْحِمَايَةِ وَالْهُوَى، وَلَا ابْتِغَاءَ الْكَسْبِ وَالْغَنِيمَةِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ دِفَاعٌ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَوَطَنِهِمْ فَرَاوَعُوا وَحَاوَلُوا، وَقَعَدُوا وَتَكَاسَلُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَا... قَالَ تَعَالَى: هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ... لِظُهُورِ صِفَتِهِ فِيهِمْ وَانْطِبَاقِ آيَتِهِ عَلَيْهِمْ. فَإِنَّ الْقُعُودَ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالِدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ وَالْأُمَّةِ عِنْدَ هُجُومِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْفَرَائِضِ الَّتِي لَا يَتَعَمَّدُ الْمُؤْمِنُ تَرْكَهَا"¹⁴⁷.

¹⁴² . رضا، تفسير المنار. (74/10).

¹⁴³ . رضا، تفسير المنار. (302/8).

¹⁴⁴ . رضا، تفسير المنار. (21/10).

¹⁴⁵ . رضا، تفسير المنار، (202/8).

¹⁴⁶ . سورة آل عمران: آية 167.

¹⁴⁷ . رضا، تفسير المنار. (87/4).

9. الدعوة إلى إعداد العدة لمواجهة الأعداء، وحماية الأوطان: قال في تفسيره لقوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)¹⁴⁸ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي قَرَّرَهُ الْإِسْلَامُ مِنْ مُقَاتَلَتِهِمْ بِمِثْلِ مَا يُقَاتِلُونَنَا بِهِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مُبَارَاةُهُمْ فِي هَذَا الْعَصْرِ بِعَمَلِ الْبِنَادِقِ، وَالْمَدْفِعِ، وَالسُّفْنِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْبَرِّيَّةِ وَالْهَوَائِيَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفُنُونِ، وَالْعُدَدِ الْعَسْكَرِيَّةِ... فَهِيَ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ الْعَسْكَرِيِّ لَا يَنْتَهِى إِلَّا بِهَا¹⁴⁹.

10. الدعوة إلى الرباط دفاعاً عن الأوطان: قال: "الْمُرَابَطَةُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي تَغْوِرِ الْبِلَادِ، وَهِيَ مَدَاخِلُهَا عَلَى حُدُودِ الْمُحَارِبِينَ لِأَجْلِ الدِّفَاعِ عَنْهَا إِذَا هَاجَمَهَا الْأَعْدَاءُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يُقِيمُونَ فِيهَا وَيَقُومُونَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ بِرَبْطِ خِيُولِهِمْ، وَخِدْمَتِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُخْتِاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ... وَالْمُرَابَطَةُ، وَالتَّقْوَى كُلُّهَا مِنْ أَسْبَابِ الْفُوزِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي الدُّنْيَا"¹⁵⁰.

11. بيان مخاطر ترك الجهاد خاصة على الأوطان: بين أن ترك الجهاد من أسوأ السيئات¹⁵¹، وتركه يضعفنا، ويقوي الأعداء علينا¹⁵². وأنه يؤدي إلى فساد أخلاق الشعوب المحتلة فالمتحليلين سيسعوا إلى نشر الكحول والمخدرات بين أبنائها، واستنزاف ثرواتها، والسيطرة على جيوشها، وإذلال أهلها¹⁵³.

12. تعرية المنافقين "الجواسيس"، وبيان خطرهم على الأوطان، ودار حديثه عنهم حول: بيان الدور الخطير لهؤلاء الجواسيس والمنافقين، فهم غير معرفين بالنسبة للمؤمنين، ووجودهم بين المؤمنين لا يزيدهم إلا خبالاً¹⁵⁴. وهم يشتركون مع اليهود والمشركين في عداوة المؤمنين فهم أنصارٌ لهم¹⁵⁵. بيان أن أضر أعمال هؤلاء الجواسيس إفشاء الأسرار التي تتعلق بالحكومة، وسياسات الدولة ومصالحها العسكرية¹⁵⁶. بيان أنواع المنافقين: بين محمد رشيد رضا أنواع

148. سورة الأنفال: آية 60.

149. رضا، تفسير المنار. (261/4).

150. رضا، تفسير المنار، (261/4).

151. ينظر: رضا، تفسير المنار. (18/11).

152. ينظر: رضا، تفسير المنار. (1/172).

153. ينظر: رضا، تفسير المنار. (412/8).

154. ينظر: رضا، تفسير المنار. (409/10).

155. ينظر: رضا، تفسير المنار. (408/6).

156. ينظر: رضا، تفسير المنار. (2/260).

المنافقين وبين أخطر هذه الأنواع، الْمُنَافِقِينَ مُرُودًا وَإِتْقَانًا لِلنِّفَاقِ أَعْوَانُ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ الْمُسْتَبِدِّينَ، وَشَرُّهُمْ وَأَضَرُّهُمْ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ لِبَاسَ عُلَمَاءِ الدِّينِ" ¹⁵⁷.

13. نشر القيم الإيجابية، والآداب التي يظهر من خلالها حفظ الأوطان، مثل:

1. بيان أنّ الدعوة إلى الوطنية التي تفرق بين المؤمنين دعوة باطلة، قال في تفسيره لقوله تعالى:

"214 سورة البقرة" "وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا وَأَعْرَبَ أَكْثَرُ بَلْعُوا مِنَ الْوَفَاحَةِ وَالتَّهْجُمِ أَنَّ صَارُوا يُعَارِضُونَ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، وَأَنْصَارَ السُّنَّةِ، وَعُرَفَاءَ الشَّرِيعَةِ، وَحُجَجَ الْعَقَائِدِ، وَحُكَمَاءَ الْأَحْكَامِ، وَيُجَادِلُونَهُمْ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ، وَقَدْ حَلُّوا رَابِطَةَ الدِّينِ وَدَعَوْا إِلَى رَابِطَةٍ أُخْرَى يُسَمُّوْنَهَا الْوُطَنِيَّةَ يُفَرِّقُونَ بِهَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ" ¹⁵⁸.

2. التحذير من الظلم، وبيان خطره العظيم على الأوطان: قال تعالى: "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى

نَفْضُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَاثِمٌ وَحَصِيدٌ* وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ" ¹⁵⁹. بين محمد رشيد رضا أنّ العِزَّةَ الْعَامَّةَ من الآية بيان إهلاك الأمم الظَّالِمَةِ فِي الدُّنْيَا، وَيَتْلُوهَا الْعِزَّةُ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ" ¹⁶⁰. وبين في موضع آخر أن الدول الظالمة لا بد أن يزول سلطانها ¹⁶¹.

14. الاهتمام بقضايا الوطن المختلفة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وغيرها: فقد

ذكر في تفسير لأول سورة يونس "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ هُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ" قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ" ¹⁶². إنّ من مقاصد القرآن الكريم "الإصلاح الاجتماعي الإنساني والسياسي الذي يتحقق بالوحدات الثمان، وَحَدَّةُ الْأُمَّةِ، وَحَدَّةُ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ، وَحَدَّةُ الدِّينِ، وَحَدَّةُ التَّشْرِيعِ بِالمُساوَةِ فِي الْعَدْلِ، وَحَدَّةُ الْأُخُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ وَالْمُساوَةِ فِي التَّعْبُدِ، وَحَدَّةُ الْجِنْسِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ، وَحَدَّةُ الْقَضَاءِ،

¹⁵⁷ . رضا، تفسير المنار. (11/16-17).

¹⁵⁸ . رضا، تفسير المنار. (2/242).

¹⁵⁹ . سورة هود: آيات (100-102).

¹⁶⁰ . ينظر: رضا، تفسير المنار. (12/127).

¹⁶¹ . رضا، تفسير المنار. (9/379).

¹⁶² . سورة يونس: آية 2.

وَحَدَّةُ اللُّغَةِ. جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالْبَشَرُ أَجْنَاسٌ مُتَفَرِّقُونَ، يَتَعَادُونَ فِي الْأَنْسَابِ وَالْأَلْوَانِ وَاللُّغَاتِ وَالْأُوطَانِ وَالْأَدْيَانِ، وَالْمَذَاهِبِ وَالْمَشَارِبِ، وَالشُّعُوبِ وَالْقَبَائِلِ، وَالْحُكُومَاتِ وَالسِّيَاسَاتِ، يُقَاتِلُ كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مُحَالَفَهُ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الرِّوَابِطِ الْبَشَرِيَّةِ وَإِنْ وَافَقَهُ فِي الْبَعْضِ الْآخَرِ، فَصَاحَ الْإِسْلَامُ بِهِمْ صِيْحَةً وَاحِدَةً دَعَاهُمْ بِهَا إِلَى الْوَحْدَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْعَامَّةِ الْجَامِعَةِ وَفَرَضَهَا عَلَيْهِمْ، وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ وَالتَّعَادِي وَحَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ، وَبَيَّنَّ هَذَا التَّفَرِيقَ وَمَضَاهِ بِالشَّوَاهِدِ التَّارِيخِيَّةِ، وَبَيَّنَّ أُصُولَ الْكِتَابِ الْإِلَهِيِّ وَسُنَّةَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ فِي الْجَامِعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ¹⁶³.

المبحث الخامس

القيم المترتبة على الاتجاه الوطني في التفسير

هناك جملة من القيم التي يمكن أن تستفاد من حديث المفسر عن وطنه، ومن أهمها:

أولاً: تصحيح مفهوم الوطنية والقومية¹⁶⁴، وأهم ما جاء في هذا، بيان الآتي: إنَّ حب الوطن، من الأمور الفطرية التي فطر الله تعالى الناس عليها، وهذه الفطرة كانت ظاهرة عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من الصالحين وحتى عند غير الصالحين بنص القرآن الكريم والسنة النبوية.

1. العناية بالجوانب الإصلاحية التي ترقى بالأوطان في الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي وغيرها من الجوانب.
2. تشتد العلاقة بين الشعوب والأوطان إذا زاد الظلم، والقهر، والسجن، والتعذيب، والتهجير...
3. فلا يستغرب من ظهورها في التفاسير التي كان كاتبوها يعيشون تحت هذه الظروف، ولا تعتبر مثلبة ما لم يظهر عوراً ظاهراً.
4. حاجات الوطن في حالة الرخاء تختلف عن حاجات الوطن في حالة الشدة .
4. الوطن لا يعني التعصب والتعدي على حقوق الغير فوطن المسلم هو كل موقع تواجد فيه المسلمون، دل على ذلك مشاركته في أكثر من جمعية وطنية سواء كانت داخلية أو خارجية، وسعيه الدائم إلى رفع المظالم عن كل المسلمين والعرب في كل مكان.

¹⁶³ . رضا، تفسير المنار. (210/11).

¹⁶⁴ . رضا، تفسير المنار. (٢٤٢/2).

ثانياً: بيان مراعاة المفسر للواقع الذي يعيش فيه: هذه سمة قد تكون غائبة عن كثير من كتب التفسير، وقلة هم المفسرون الذين ارتبطت أفلامهم بالواقع الذي يحيطونه. ولعل ربط التفسير بالواقع ظهر جلياً في جملة من كتب التفسير الحديثة، خصوصاً الكتب التي جاءت بعد ظهور مدرسة محمد عبده في التفسير، ومنها تفسير دروزة الذي ظهر فيه المحاولة الدائمة لربط التفسير بالواقع، لكن من غير تحميل القرآن الكريم ما لا يحتمل¹⁶⁵.

ثالثاً: استثمار القرآن الكريم في التغيير: أدرك كثير من المفسرين تماماً أنّ القرآن الكريم يحمل في طياته مهمة اصلاحية كبرى، وأنه قادر على إنقاذ هذه الأجيال المسلمة مما وقعت فيه، وأن يقدم لهم ما يمكنهم من مواجهة التحديات التي تقف أمامهم، وأنه قادرٌ على التعامل مع كل الظروف المحيطة في شتى الجوانب، وقال كثير منهم ذلك صراحة يقول دروزة: "إنّ الحاجة إلى ذلك تشتد يوماً بعد يوم بنسبة ازدياد ما يتعرض له شبابنا وناشئتنا من تيارات جارفة عاصفة من الإلحاد والتحلل من مختلف القيم والروابط الأخلاقية والاجتماعية، والتقليد الأعمى لكل تافه سخيّف محل بالدين والخلق والمروءة... والانصراف عن قراءة الآثار الجادة الإسلامية والعلمية والقومية التي بها وحدها يضمن المرء لنفسه الكرامة والمعرفة والنفع بحيث صار الواجب يقضي تنبيههم إلى ما هم معرضون له من هذه التيارات وإنقاذهم من نتائجها الرهيبة بشرح تراثهم الديني والقومي والخلقي والاجتماعي العظيم الرائع شرحاً مؤثراً نافذاً، والإهابة بهم إلى الاستمسك بحبل الله والتزود بما في كتابه وسنة رسوله من قواعد ومبادئ وتلقينات من شأنها أن تعصمهم من الزلل وتهديدهم إلى أقوم السبل في شؤون الدين والدنيا"¹⁶⁶.

رابعاً: توجيه المجتمعات إلى القيم الإيجابية التي ترقى بها، ومن أهمها:

- حبّ الوطن ليس حبّاً عشوائياً جافاً، وإنما يستغل في نشر القيم الإيجابية التي ترقى بالشعوب، كسعيه إلى الدعوة إلى العدل، ونبد الظلم، والدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... الخ.

¹⁶⁵ . ينظر: دروزة، التفسير الحديث. (142/1).

¹⁶⁶ . دروزة، التفسير الحديث. (5/1).

- دعوة أفراد المجتمع للقيام بواجبهم اتجاه أمتهم وأوطانهم، ومعالجة الشبهات التي قد تحول بينهم وبين ذلك، كما في حديث دروزة عن الشبهات التي تمنع من مشاركة المرأة في الانتخابات لخدمة وطنها، والرد عليها¹⁶⁷.
- الدعوة إلى عدم الدخول في الخلافات، التي دخل فيه كثير من المفسرين كالحديث الطويل عن الخلافات المذهبية والحزبية، وغيرها. وذلك لجملة من الأسباب التي دفعته إلى فعل ذلك، أهمها: أنّ هذه الخلافات تبتعد عن الغاية الأساسية للقرآن الكريم. وأنها تؤثر سلباً على التفسير¹⁶⁸. ولأنّ الخلاف يؤدي إلى تفرقة الصف، وبالتالي ضعف الأوطان.

الخاتمة ونتائج البحث

اشتملت هذه الدراسة على جملة من النتائج التي يجدر الإشارة إلى أهمها:

- مفهوم الاتجاه الوطني في التفسير: هذا المصطلح المركب الحديث يفهم بالنظر إلى ناحيتين، وهما: الناحية النظرية، والناحية العملية: أما الأولى: فهو الاتجاه الذي يهدف إلى إبراز القضايا التي تتعلق بالأرض -الوطن-، وبسطها، وتحديد معالمها، والافادة منها، والدفاع عنها، من خلال ما جاء في كتب التفسير القديمة، والحديثة. وأما الثانية: فهو الدعوة إلى تنزيل أقوال المفسرين التي تتناول الحديث عن الأوطان، وما يحل فيها على الواقع، من أجل السعي إلى رفعها، خاصة التفاسير التي كتبت في ظل الأزمات لتوجيه هذه المجتمعات إلى ما يفيدهم في سبيل الوصول إلى خير بلادهم، وتعريفهم بما لا يفيدهم حتى يبتعدوا عنه، ويتجنبوه.
- أساليب الاستدلال على الاتجاه الوطني في التفسير، ومنها: الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال مقدمة التفسير، الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال حديث المفسرين عن الوطن، وما يقع فيه، الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال الواقع العام لوطن المفسر، الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال التوجه الفكري للمفسر، الاستدلال على الاتجاه الوطني من خلال حديث المفسر عن الوطن).

¹⁶⁷ . ينظر: دروزة، التفسير الحديث. (408/8).

¹⁶⁸ . ينظر: دروزة، التفسير الحديث. (211/1).

- برز الاتجاه الوطني في التفسير في كتب التفسير القديمة, والحديثة, ولكن ظهوره في كتب التفسير القديمة محدود في بعض الصفحات عن الوطن, أما ظهوره في كتب التفسير الحديثة فكان ظهوراً واضحاً فلا تكاد تمر على مجموعة من الصفحات إلا وتجدّها تربط القارئ بوطنه وبضرورة السعي إلى خدمته من أجل إصلاحه والرفي به.
- من القيم الايجابية المترتبة على وجود الاتجاه الوطني في التفسير: (تصحيح مفهوم الوطنية والقومية, بيان مراعاة المفسر للواقع, استثمار القرآن الكريم في التغيير, توجيه المجتمعات إلى القيم الايجابية التي ترقى بها).

فهرس المراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأبار, محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي.
- ابن باديس, عبد الحميد. تفسير ابن باديس. تحقيق: أحمد شمس الدين. طبعة: 1, سنة: 1416م. بيروت: دار الكتب العلمية.
- البخاري, محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. طبعة: 3.
- الترمذي, محمد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق: أحمد شاکر, وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني, علي بن محمد. التعريفات. تحقيق: إبراهيم الأبياري. طبعة: 1, سنة: 1405هـ. بيروت: دار الكتاب العربي.
- حشيم, مصطفى عبد الله. موسوعة علم السياسة. طبعة: 1, سنة: 1425هـ. ليبيا: الدار الجماهيرية.
- الحصري, ساطع. آراء وأحاديث في الوطنية والقومية. طبعة: 2, سنة: 1985م. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- ابن حنبل, أحمد الشيباني. مسند الامام أحمد. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
- حوى, سعيد. الأساس في التفسير. طبعة: 6, سنة: 1424هـ. القاهرة: دار السلام.

- أبو حيان, محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير. تحقيق: أحمد عادل وآخرون. طبعة:1, سنة: 1422هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الذهبي, محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. مؤسسة الرسالة.
- رضا, محمد رشيد, تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار". طبعة:2, بيروت: دار المعرفة.
- الزبيدي, محمد بن محمد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية.
- الزرقاني, محمد عبد العظيم, مناهل العرفان في علوم القرآن. تحقيق: مكتب العلوم والدراسات. طبعة:1, سنة: 1996م. بيروت: دار الفكر.
- الزمخشري, محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.
- السعدي, عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "تفسير السعدي". طبعة:1, سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة.
- السمعاني, منصور بن محمد. تفسير القرآن.
- الشعراوي, محمد متولي. تفسير الشعراوي.
- الصلاحي, علي محمد. الجواهر الثمين بمعرفة دولة المرابطين. طبعة:1, سنة: 1424هـ. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- الضبي, أحمد بن يحيى. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس.
- الطبري, محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. تحقيق: أحمد شاکر. طبعة:1, سنة: 1420هـ. مؤسسة الرسالة.
- ابن عطية, عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي. طبعة:1, سنة: 1413هـ. لبنان: دار الكتب العلمية.
- طنطاوي, محمد سيد. التفسير الوسيط.
- الطيار, مساعد. فصول في أصول التفسير.
- ابن عثيمين, محمد صالح. القول المفيد على كتاب التوحيد. طبعة:2, سنة: 1424هـ. السعودية: دار ابن الجوزي.
- ابن العربي, محمد بن عبد الله. أحكام القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.

- عكاشة, محمد رشيد رضا: جهودہ الاصلاحية ومنهجه العلمي.
- الفراء, أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي. معاني القرآن.
- قطب, سيد إبراهيم حسين الشاربي. في ظلال القرآن. طبعة: 17, سنة: 1412هـ. بيروت: دار الشروق.
- القرضاوي. يوسف. من أجل صحوة راشدة: تجدد الدين وتنهض بالدنيا. دار الشروق.
-
- لسان الدين بن الخطيب, عبد الله بن سعد بن أحمد. الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق: يوسف
- مسلم, مصطفى: مناهج المفسرين. طبعة: 1, سنة: 1415هـ. الرياض: دار المسلم
- المشني: أثر اتجاهات المفسرين في مناهجهم
- مصطفى, إبراهيم, وآخرون. المعجم الوسيط. تحقيق: مجمع اللغة العربية. دار الدعوة.
- 1426هـ.
- ابن منظور, محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- المناوي, محمد عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: محمد رضوان الداية.
- طبعة: 1, سنة: 1410هـ. بيروت: دار الفكر.
- النابلسي, محمد راتب. تفسير النابلسي "تدبر آيات الله في النفس, والكون, والحياة". علي
- طويل. طبعة: 1, سنة: 1424هـ. بيروت: دار الكتب العلمية.